﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢﴾ [الروم: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين عُقْبى المجرمين في الجحيم، وإبلاسهم عند قيام السّاعة

لَمّا ذَكَرَ أنَّ عاقِبَتَهم إلى الجَحيم، وكانَ في ذَلِكَ إشارَةٌ إلى الإعادَةِ والحَشْرِ، لَمْ يَتْرُكْهُ دَعْوًى بِلا بَيِّنَةٍ، فقالَ ﴿يَبْدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾، ثُمَّ بَيَّنَ بَعْضَ أحْوالِ الرُّجوعِ إلَيْهِ، فقالَ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[1]، والإبلاسُ سكوتٌ وانقطاعُ حجّة، حيث يقف المجرمون في وُجومٍ وخِزْيٍ، لا يجدون ما يدافعون به عن أنفسهم، وقد يئسوا من النّجاة، وعلموا أنّ أوان الاستدراك قد فات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُبۡلِسُ﴾: (بَلَسَ) أصْلٌ واحِدٌ، وهو الْيَأْسُ، يُقالُ أبْلَسَ إذا يَئِسَ[2]، والإبْلاسُ: الحُزْن المُعْترض مِن شِدَّة البَأْس، يقال: أبْلَسَ، ومنه اشْتُقَّ إبليس، ولمّا كان المُبْلِس كثيرًا ما يَلْزم السُّكوت، ويَنْسى ما يعنيه، قيل: أبْلَسَ فلان: إذا سَكَتَ وانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ، ولَمْ يُؤْمَلْ أنْ يَكونَ لَهُ حُجَّةٌ، وقَريبٌ مِنْهُ: تَحَيَّرَ[3]، فالإبلاس أن يبقى يائسًا ساكتًا متحيّرًا، يقال: ناظرته فأبْلَس، ومنه النّاقة المبلاس، أي: التّي لا ترغو، وقال مجاهد: مفتضحون، وقال قتادة: المعنى: ييأس المشركون من كلّ خير"[4]، وإبليس إن كان عربيًّا، فاشتقاقه من أبلس يبلس، إذا يئس، فكأنّه أبلس من رحمة الله، أي يئس منها[5]، ومعنى ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾، أي: يسكت المشركون لانقطاع حجّتهم.

2) ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾: (جرم) أصْلٌ واحِدٌ يَرْجِعُ إلَيْهِ الْفُروعُ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 102.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بلس).
(3) الرّاغب، المفردات: (بلس)، والقُرْطُبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 10.
(4) الخطيب الشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 159.
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (باب ما جاء على إفعيل).

فالْجِرْمُ الْقَطْعُ[1]، كقطع الثّمرة عن الشَّجَر[2]، والجُرْمُ: الذَنْبُ، والجريمةُ مثله، تقول منه: جَرَمَ وأجْرَمَ واجْتَرَمَ بمعنىً، والجَرْمُ: الحَرُّ، والجِرْمُ: الجَسَدُ، والجِرْمُ: اللّوْن[3]، وتجرّم: ادّعى عليه الجُرْم، وإن لم يُجْرِم، قال الشّاعر، أنشده ثعلب:

وَتَرَى اللَّبيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجترِمْ *** شَتْمَ الرِّجالِ وعِرْضُهُ مَشْتومُ[4]

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف: 40]، قال الزَّجّاج: "المجرمون هاهنا، والله أعلم: الكافرون لأنّ الّذي ذكر من قصّتهم التّكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها"[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيان حالة يأس المجرمين، عند قيام السّاعة

يبيِّنُ الله تعالى حالَ المجرمينَ فيقولُ: ويومَ القيامة يَيئَسُ المُشركون من رحمة الله، وتَنقَطِعُ حُجَّتُهم، ويَندَمونَ، ويَتلاشى أمَلُهم في النَّجاة.

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ المشركين ما قدَّموا لذلك اليوم إلا الإجرامَ وهي الذنوبُ: من كفر وشرك ومعاصٍ، فلمّا قدَّموا أسبابَ العقاب ولم يَخْلِطوها بشيء من أسباب الثواب؛ أيِسوا وأبْلَسوا وأفْلَسوا، وضلَّ عنهم ما كانوا يفترونه، مِن نَفْعِ شركائهم وأنهم يشفعون لهم[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها في سياق الآية:

تَنبيه لِحال المُشركين يَوْم الرُّجوع إلى الله يوم الدّين

الواوُ في قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ عاطِفَةٌ عَلى جُمْلَةِ ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جرم).
(2) الرّاغِب، المفردات: (جرم).
(3) الجَوْهري، الصّحاح: (جرم).
(4) البيت لأبي الأسود الدّؤليّ، ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (جرم).
(5) الزجاج، معاني القرآن: 2/ 338، ومثله ذكر النحاس في معانيه: 3/ 36، والسمرقندي في بحر العلوم: 1/ 541.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 638.

تُرْجَعُونَ﴾؛ "تَبْيينًا لِحالِ المُشْرِكينَ، في وقْتِ ذَلِكَ الإرْجاعِ، كَأَنَّهُ قيلَ: ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعونَ، ويَوْمَئِذٍ يُبْلِسُ المُجْرِمونَ، ولَهُ مَزيدُ اتِّصالٍ بِجُمْلَةِ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾"[1].

سِرُّ العدول عِن تَقديرِ الجُملةِ المُضافِ إليها ﴿وَيَوْمَ﴾:

بيان أنّ الإطْناب لِأجْلِ البَيانِ، والمزيد من التَّهْويلِ

كانَ مُقْتَضى الظّاهِرِ أنْ يُقالَ: (ويَوْمَئِذٍ يُبْلِسُ المُجْرِمونَ)، أوْ (ويَوْمَئِذٍ تُبْلِسونَ)، أيْ: ويَوْمَ تُرْجَعونَ إلَيْهِ، يُبْلِسُ المُجْرِمونَ، فعَدَلَ عَنْ تَقْديرِ الجُمْلَةِ المُضافِ إلَيْها (يَوْمَ) الَّتي يَدُلُّ عَلَيْها ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بِذِكْرِ جُمْلَةٍ أُخْرى، هي في مَعْناها؛ لِتَزيدَ الإرْجاعَ بَيانًا أنَّهُ إرْجاعُ النّاسِ إلَيْهِ، يَوْمَ تَقومُ السّاعَةُ، فهو إطْنابٌ لِأجْلِ البَيانِ، وزيادَةُ التَّهْويلِ، ويَدُلُّ لِهَذا القَصْدِ تَكْريرُ هَذا الظَّرْفِ في الآيَةِ، بَعْدَها بِهَذا الإطْنابِ[2].

نكتة إسناد القيام إلى السّاعة:

عَظيمُ القُدْرَةِ عَلى السّاعة، مَعَ كَثْرَة العصاة وأهل الطّاعة

في إسناد القيام إلى السّاعة في قوله: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ مزيد تخويف وترهيب؛ لِما في ذلك الإسناد مِنَ المُبالَغَةِ والرُّعْبِ[3]؛ إذ شاعَ إطْلاقُ السّاعَةِ عَلى وقْتِ الحَشْرِ والحِسابِ، وأصْلُ السّاعَةِ: المِقْدارُ مِنَ الزَّمَنِ، ويَتَعَيَّنُ تَحْديدُهُ بِالإضافَةِ أوِ التَّعْريفِ، و(أل) في ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ للعَهْد.

وسُمِّيَتْ بِذَلِكَ إشارَةً إلى عَظيمِ القُدْرَةِ عَلَيْها مَعَ كَثْرَةِ الخَلائِقِ عَلى ما فيهِمْ مِنَ العُظَماءِ والكُبَراءِ والرُّؤَساءِ[4].

علةُ التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يُبْلِسُ﴾:

كَلِمة الإبلاس، غَنيَّة بمعانيها، ثَريَّة بمدلولاتها

أوثر التَّعبير بمضارع الإبلاس وتذكيره الدالِّ على التَّجَدُّد

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.
(4) البِقاعي، نَظْم الدُّرر: 15/ 55.

والاِسْتِمْرار، الذي أَوْمَأَ إِلَيْه المُضارِعُ[1]؛ لأنَّ الكلمة تَكْتَنِز عِدَّة مَعانٍ، لا توجد في مرادفاتها، فهي تَشْمَل معاني: الفَضيحَةُ، والاِكْتِئابُ، والإياسُ، والهَلاكُ، والنَّدامَةُ، والحَيْرَةُ[2]، والتَّأويل: أنّها بمعنى يَسْكُتُ، ويَسْكُنُ يَأْسًا وتَحَيُّرًا عَلى غايَةِ الذُّلِّ.

سِرُّ وضع الظّاهر موضع المُضْمَر:

تعليل الحُكْم المستبين، والتَّشهير بالمُجرمين

فيه الإظْهارُ في مَقام الإضْمارِ، حيث كانَ مُقْتَضى الظّاهِرِ أنَّهُ يُقالُ: (تُبْلِسونَ)، بِالخِطابِ أوْ بياءِ الغَيْبَة، لَكِنَّه وضَعَ الظّاهِرَ في قوله: ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ مَوْضِع ضَميرِهِم؛ لِلتَّسْجيلِ عَلَيْهِمْ بِهَذا الوَصْف الشَّنيع، والإشْعار بِعِلَّةِ الحُكْم، والمُرادُ بِالمُجْرِمينَ عَلى ما أفادَهُ الطّيبيُّ أولَئِكَ الَّذينَ أساؤوا السّوأى[3].

معنى (أل) في ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

(أل) في ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: للجِنْس، وأفادت العُموم والشُّمول، ووُصِفوا بِالإجْرامِ لِتَحْقيرِ دين الشِّرْكِ وأنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلى إجْرامٍ كَبيرٍ[4].

(1) البِقاعي، نَظْم الدُّرر: 15/ 55.
(2) الماوردي، النُّكَت والعيون: 15/ 392.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب حاشية على الكَشّاف: 12/ 219، والآلوسي، روح المعاني: 16/ 25، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 21/ 62.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»